‘Yandoto Academic Journal of Arabic Language and Literature
ISSN: 2714-4712 (Print & Open Access)

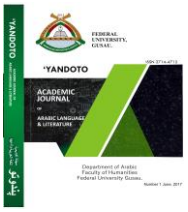

الخلفية التاريخية لمدينة "يَنْدُوتُو" القديمة بمنطقة كاشنة الغربية

إعداد:

الدكتور أبوبكر آدم مساما، ومنير محمد بكورا.

مستخلص البحث:

لقد انطلقت الثقافة العربية الإسلامية من مستقرّها الأساس تواكب الفتوحات الإسلامية التى قام بها المجاهدون، وترافق جملة المهاجرين الذين وفدوا على الأمصار الجديدة يبغون الاستقرار بعيدا عن حياتهم الصحراوية القديمة، وواصلت كذلك تشقّ طريقها إلى المجتمعات الأعجمية التى تم دخول الإسلام فيها بواسطة قوافل العرب والتجار والدعاة، ومن تلك المجتمعات المجتمع النيجيري، وبالتحديد مملكة برنو وولايات هوسا، ومن مدن بلاد هوسا القديمة التي امتدت فيها الثقافة العربية الإسلامية قبل كيان دولة بني فودي مدينة "يَنْدُوتُو" في منطقة كاشنة الغربية، فتسعى هذه المقالة جاهدة في بسط الضوء عن تاريخ هذه المدينة ومكانتها بين بلاد هوسا في نشر الثقافة العربية الإسلامية في نيجيريا، وتبدو أهمية هذه الدراسة في أنها دراسة تاريخية لمركز علمي وثقافي قديم في بلاد هوسا، قد توضّح للقارئ صورة واضحة المعالم لمكانة هذه المنطقة العلمية والثقافية منذ عهد بعيد، فتبدي له كذلك جليا وجهة مناسبة تسمية هذه المجلة بهذا الاسم "يَنْدُوتُو" وتتمثل محاور المقالة في العناصر التالية:

- مدينة "يَنْدُوتُو" وموقعها الجغرافي:
- علماء"يَنْدُوتُو" ونشر العلم.
- علماء "يَنْدُوتُو" والثورة الإصلاحية الفودية.
- سقوط مدينة "يَنْدُوتُو".
- الخاتمة.
- قائمة الهوامش والمراجع.

ABSTRACT:

THE HISTORIACAL BACKGROUND OF THE ANCIENT CITY OF 'YANDOTO IN THE WESTERN REGION OF KATSINA

By

Dr. Abubakar Adamu Masama & Muniru Muhammad Bakura

Arabic and Islamic culture has started from its basic stability, keep in along with the Islamic conquests of the mujahedeen, and accompany with the number of immigrants who come to the new sight, they want stability away from their old desert life, it also continued to make its way into the miraculous societies in which Islam was introduced by Arab caravans, merchants and Scholars. Nigeria is one of those communities specifically, the kingdom of Borno and the Hausa state, 'Yandoto is the one of the Hausa ancient cities where Arabic and Islamic culture was extended before the establishment of Sokoto Caliphate in the western region of Katsina. The article strives to shed more light on the history of this city, and its place among the Hausa State in the dissemination of Arabic and Islamic culture in Nigeria. The importance of this study seem to be a historical analysis of an ancient scientific and cultural center in the Hausa States, it may also shows a clear-cut picture of the scientific and cultural status of this region for a long time, the reader also has an appropriate point of view, naming this Magazine 'Yandoto. The themes of this research are:

- The city of 'Yandoto and its geographical location.
- 'Yandoto scholars and dissemination of knowledge.
- 'Yandoto scholars and the Sokoto Caliphate reform revolution.
- The fall of 'yandoto.
- Conclusion.
- List of end notes and references.

مدينة "يَنْدُوتُو" وموقعها الجغرافي:

تأسيس مدينة "يَنْدُوتُو":

إن اسم نيجيريا هو الاسم الرابع من حيث استعمالات الشعب على مناطقهم: الاسم الأول: التكرور، والثاني: السودان، والثالث: هوسا، والرابع: نيجيريا، وهو المستعمل اليوم.[١] وكانت نيجيريا قبل حدودها الحالية عبارة عن ممالك متعددة، وقد نشأت في الشمال ممالك للهوسا ومملكة كانم برنو، ثم قامت مملكة صكتو في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، وهناك مملكة اليوروبا التي ظهرت منذ القرن التاسع الميلادي.[٢] وأن أسبق بلاد هوسا إلى ميدان الحضارة والعمران هي مدينة كاشنة التي تقع على طريق القوافل المارة من (تمبكتو) إلى (برنو) ومصر، وقد قامت بها سوق عظيم يحضره البرابرة والوناغرة والعرب منذ القرن الثاني عشر الميلادي.[٣]

وأما مدينة "يَنْدُوتُو" التي نسوق الحديث عنها، فهي من المدن القديمة في بلاد هوسا، ولا يعرف بالضبط زمن تأسيسها، إلا أن الروايات التاريخية تشير إلى أن المدينة من أقدم المدن في منطقة كاشينا الغربية قبل كيان دولة صكتو،[٤] بينما يذهب بعض المؤرخين إلى أن المدينة من المدن التي أعيد تعميرها بعد الطوفان، أو أنها أسست في منتصف الأخير للقرن الثاني الهجري،[٥] وذهب بعضهم إلى أنها أسست في ما بين القرن العاشر إلى القرن الثامن عشر الميلادي. [٦]

وأما عن مؤسس المدينة، فلا يعرف بالضبط كذلك المؤسس الأول لهذه المدينة، بناء على أنها من المدن القديمة التي لا يعرف بالضبط وقت تأسيسها، بل قد ذكرنا في السابق أنها من المدن التي أعيد تعميرها بعد الطوفان.

ومن قائل: أن المدينة كان يسكنها أصالة المجوس قبل أن يشاركهم (حابي) و(فلانيون) عن طريق المجاورة والمصاهرة والمبايعة، وغير ذلك من أنواع المعاملات.[٧] ويؤيد هذا الرأي أسماء حكام المدينة الأوائل كـ (كُنْكُرُو)، و(سُويَاقِي)، و(غَدُو)، و(طَنْ مَأَجِي) و("يَنْدُوتُو" قَدَبَرَ)، ثم ("يَنْدُوتُو" طَنْ فَاوَا).[٨] والحق أن هذه الأسماء ليست من أسماء العرب ولا أسماء الإسلام، بل هي من أسماء هؤلاء السكان الأصليين الذين أسسوا المدينة قبل أن يدخلها الإسلام.

وأما الخليفة قريب الله فإنه ذهب مذهبا آخر بالنسبة لمؤسس مدينة "يَنْدُوتُو" حيث قال: "هي مدينة أثرية وعاصمة الإسلام في البلاد السودانية تأسست بأواخر القرن الثاني الهجري على يد مؤسسها الأول الإمام يحيى بن عبد بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن الإمام علي كرم الله وجهه،..."[٩]

ولعل هذا الرأي لا ينافي تأسيس المدينة منذ عهد بعيد قبل تكوينها عاصمة الإسلام في بلاد هوسا. بل ورد في الرسالة الجلية للمؤلف نفسه ما يفيد ذلك: " قدم الإمام يحيى من المدينة المنورة بأتباع

كثيرين وسكن البلدة – يعني مدينة "يَنْدُوتُو" – وأقام فيها دولة إسلامية علوية فيما بين القرن الثاني إلى السادس الهجري.[١٠]

وغاية ما يفيده النص السابق قدوم هذا العالم الجليل إلى المنطقة، واتخاذه مدينة "يَنْدُوتُو" مكزا علميا وثقافيا، وعاصمة للبلاد الإسلامية المجاورة لها. ومن المعلوم أن إقامة عاصمة الدولة في المدينة لا يعني تأسيس المدينة مبدئيا، كما يفهمه بعض الناس، قد يكون ذلك بعد سنوات عديدة من تأسيس المدينة، بل من اندثارها فتعمر من جديد. كما أشار إلى ذلك الخليفة قريب الله في محل آخر من نفس الكتاب حيث يقول: "وتذكر مراجع تاريخية أن هذه المدينة ضمن المدن المعمرة التي أعيدت بعد الطوفان وهي عبارة عن مائة وسبعين مدنا."[١١] ووافقه في ذلك الباحث محمد الحسن حبيب في مقالته المعنونة بـ (Suwanene Malaman 'Yandoto?).[١٢]

أصل التسمية:

ومما لا يدع للشك مجالا أن لغة السكان الأصليين لمعظم المدن وتقاليدهم الموروثة لها أثر كبير في أسمائها، خذ على سبيل المثال أسماء البلاد في مناطق يوربا: (أوسن)، و(أوجن)، (أوندو)، (ساكي)، (كيسي). وغيرها، إن هذه الأسماء تحمل في طياتها ما يبين أثر لغة يوروبا فيها.

وإذا رجعنا إلى مدينة "يَنْدُوتُو" ندرك جليا أن هذا الاسم أطلقه على المدينة مؤسسوها الأوائل، إذ لا صلة له بالعرب ولا العربية لا من حيث الاشتقاق ولا المعنى، وأما عن أصل كلمة "يَنْدُوتُو" فقد اختلف المؤرخون في كيفية النطق بها، فذهب الخليفة قريب الله إلى أن الكلمة أصلها بالجيم لا بالياء، فكانت إذن تكتب هكذا: جَانْدُوتُو.[١٣] وهكذا وردت في كتاب إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور بالجيم لا بالياء .[١٤] ومهما يكن من أمر فإن الجيم في كلمة (جَانْدُوتُو) هي الأصل ثم أبدلت فيما بعد ياء مثلثة (يَنْ) التي تعني أبناء بلغة هوسا فصارت تكتب هكذا: "يَنْدُوتُو".

وقال الخليفة قريب الله: فإن كان ذلك كذلك فلا بد أن يكون ما بعد (يَنْ) التي تعني أبناء اسم الوالد.[١٥] وبهذا التعليل تعني جملة "يَنْدُوتُو" أبناء دُوتُو وأن كلمة" دُوتُو" أصلها ثقب في جبل بجوار مدينة ثَافِى[١٦].

بالرجوع إلى هذا الاسم "يَنْدُوتُو" بالياء مرة ثانية ندرك جليا أنه عبارة هوسوية مزدوجة بين Yan' و Doto وتعني بلغة هوسا أهل دوتو، إذ كلمة Yan' في Yandoto' لا تفيد البنوة الحقيقية حتى يظن أن Doto اسم لوالدهم، بل تفيد نسبة أهل البلد إلى (دوتو) الذي في ذلك الجبل بجوار (ثافي) كما قلنا سابقا، وهذا الاصطلاح مألوف لدى هوساويين من نسبة الإنسان إلى حرفته أو عقيدته أومكان إقامته أوغير ذلك،

كقولهم: يَنْكَسُوَا للتجار، ويَنْطَرِيقَا لأهل الطرق الصوفية، ويَنْإِزَالاَ للإزاليين، ويَنْبُوكُو للذين تثقفوا بالثقفة الغربية، يَنْزَارِيَا لأهل زكزك.

وأما كلمة (جاندوتو) بالجيم كما وردت في كتاب "إنفاق الميسور.." لأمير المؤمنين محمد بلو، فهي كذلك عبارة هوسوية مزدوجة بين Ga التي هي أداة إشارة في لغة هوسا، و Doto، أي هذا محل ثقب في الجبل. اعتبارا بأن الجيم في الكلمة جيم قاهرية. كما هو ظاهر في كلمة جومي Gummi بالجيم. إلا أن الجدير بالذكر أن الثقب العريض في الجبل أو تحت الأرض يسمى بلغة هوسا Loto باللام لا بالدال، فكأن النطق الصحيح لاسم هذه المدينة هو "يَنْلوتُو" Yanloto'.

موقع مدينة "يَنْدُوتُو الجغرافي:

تقع مدينة "يَنْدُوتُو" حاليا على شارع مدينة زَارِيَا من مدينة غُسَو في حكومة ثافي المحلية ولاية زَنفَرَا نيجيريا، وتبعد "يَنْدُوتُو" عن مدينة غسو عاصمة ولاية زمفرا حاليا مسافة تقارب حوالي ١٥ خمسة عشر كيلو مترا. وهي مدينة صغيرة حصينة بسور عال ومحيطة بالجبال من جهات الغرب والشمال والشرق.[١٧] ولعل هذا الموقع الجغرافي الحصين هو السبب الرئيسي في تدفق الوفود والمهاجرين إلى المدينة، فاتخذوها حصنا مانعا لما يجري بين الملوك والأمراء من الحروب والغزوات حينذاك، حتى سكنها الأجلاء المشهورين من العلماء.

ويتحدث سكان يندوتو اللهجة الكاشناوية التي تشابه بعض الشيء مع لهجات بلاد هوسا وأقاليمها السبعة العليا القديمة Hausa Bakwai وهي: (زكزك)، و(رنو)، و(غوبر)، و(كنو)، و(دورا)، و(كغرا)، و(كاشنة)، التي تشتمل على بلاد الغرب التي عاصمتها يندوتو قبل جهاد بني فودي، وفصل أمير المؤمنين القول عن مكانة تلك المدن والإمارات في تلك الأيام قائلا: "وأوسطها كاشنة، وأوسعها زكزك، وأجدبها غوبر، وأبركها كنو.[١٨]

والحال أن (زمفرا) في تلك الحقبة كانت تنتمي إلى ولايات هوسا السبعة الأخرى المعروفة بالسبعة السفلى وهي (زمفرا)، و(كبي)، و(ياوري)، و(نفي)، و(يوربا)، و(غرم)، و(برغ). وقد اطلق على هذه الأقاليم أسماء أخرى باعتبارات مختلفة، هي التي تسمى في الماضي البعيد ببلاد التكرور، ثم اطلق عليها بلاد السودان، ثم الثالث الأخير الذي هو بلاد هوسا.[١٩]

مدينة "يَنْدُوتُو" بعد سقوط دولة مالي:

يعتبر (منسى موسى) أعظم ملوك مالي، وفي عهده بلغت المملكة أوج عزِّها ومجدها، وامتدت حدودها من بلاد التكرور غربا إلى (دندي) شرقا، ومن (ولاتة) شمالا إلى مرتفعات (فوتاغالون) جنوبا... وبعد وفاة (منسى سليمان) عام ١٣٦٢م ابتدأت أمور الدولة تضطرب، ولا أدل على ذلك من أنه بين عام

١٣٥٩ و ١٣٩٠م تولى السلطة ستة ملوك من بينهم مغامران اغتصبا العرش اغتصابا... والواقع أن تفكك مملكة مالي كان قد بدأ منذ عام ١٣٥٥م حين فرضت (صنغاي إستقلالها عنها، ولم تلبث قبائل الطوارق أن استولت على المدن المجاورة لها كـ (أوران وولاتة وتمبكتو،) كما استولت قبائل (الولوف) على المنطقة الغربية، واستولى (الموسِي) على المنطقة الجنوبية، وفي أواخر القرن الخامس عشر الميلادي أصبحت (مالي) قطرا داخل إمبراطورية (صنغاي).[٢٠]

ولكن على الرغم من سقوط مملكة (مالي) فإن جهود أفراد شعبها في نشر الإسلام لم تتأثر، وفي عهد ملك (كانو) يعقوب الذي تولى الملك من عام ١٤٥٢ إلى ١٤٦٢م، وصل وفد آخر من (مالي) إلى مدينة (كانو) وقد أحضروا معهم كتب التوحيد واللغة العربية، وقد كانت الكتب الدينية المعروفة قبل ذلك غير القرآن هي كتب الفقه والحديث. غير أن هذا الوفد لم يقم بمدينة (كنو) وإنما واصل سفره شرقا إلى (برنو) تاركا وراءه أفرادا منه في أرض هوسا.[٢١]

ولعل هذا الوفد المعروف بـ (الونغراويين) هو الذي أسس أساسا متينا لتقدم مدينة "يَنْدُوتُو" حتى أصبحت مركزا كبيرا للعلم والثقافة والتجارة في بلاد هوسا، كما هو واضح في قول بعض المؤرخين: "تقدمت مدينة "يَنْدُوتُو" بعد إنشائها علميا وتجاريا، فيما بين القرن الخامس عشر إلى السادس عشر الميلادي، بعد سقوط دولة مالي، لوفود العلماء إليها من جميع مناطق غرب إفريقية طلبا للعلم، فأصبحت المدينة مركزا ثقافيا، ينتشر منه التعاليم الإسلامية إلى جميع بلاد هوسا. كما اشتهرت بالأبطال المشهورين في العالم كأمير كَتِثَا محمد كُورَوْ الذي روي أنه كان بطلا من مدينة يَنْدُوتُو فذهب إلى كَتِثَا ليشارك من يقابل أميرها (جبد باقي) للمصارعة، فانتصر محمد كُورَوْ على الأمير فذبحه كما هو الجاري في عاداتهم آنذاك عند اختيار الأمير في كَتِثَا، فأصبح محمد كُورَوْ بذلك أميرها. كما يروى أن أمير كَبِ محمد كَنْتَا كان من سلالة أهل يَنْدُوتُو.[٢٢]

وكذلك أشار الخليفة قريب الله إلى ما يدل على مكانة هذه المدينة علميا وثقافيا في حديثه عن مشايخ الشيخ جبريل بن عمر الأغادزي بقوله":ويجدر بنا أن نذكر هنا أن الشيخ لم يغادر بلاده الهوسوية إلا بعد ما هضم ما عند علمائها ولم يدع منهم دان ولا قاص إلا جلس بعتبته ثم نزل بمدينة "يَنْدُوتُو" مدة طويلة لأنها في ذلك العصر أشهر مدينة علمية في البقاع التكرورية."[٢٣] ويؤكد على قدم ثقافة مدينة "يَنْدُوتُو" وتطور شأنها علميا، ما أثبته التاريخ من أن كثيرا من كبار علماء بلاد هوسا أخذوا العربية في مدينة "يَنْدُوتُو". وقد أشار إلى ذلك أمير المومنين محمد بلّو في ترجمة الشيخ البكري: " ... من علماء هذه البلاد الإمام العالم العلامة، المتفنن الفهامة، شيخ الشيوخ ذو الفهم والرسوخ، الشيخ البكري، أخذ العربية والبلاغة في (جندوتو) وصدر منها عالما متقننا ثم رحل لبلاده[٢٤]

كما يقال إنه قد تدفق الجماعة أفواجا إلى المدينة ونزلها أجلاء المشهورين في العالم الإسلامي طلبا للعلم ونشره، ومنهم السيدة أم الهانئ الأندلسية التي نظمت قصيدة طويلة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.[٢٥]

علماء يندوتو ونشر العلم:

لا يمكن للعاقل فضلا عن العالم إنكار وجود العلماء الأجلاء الذين مارسوا فن التأليف في الفنون العلمية ببلاد هوسا قبل كيان الدولة العثمانية الودية، إلا أنه من الأسف الشديد ليس هناك معلومات دقيقة عن تلك الإنتاجات، وأما عن حال مؤلفات علماء يَندُوتُو الخاصة فقد اختلف العلماء والباحثون فيما بينهم، فذهب بعضهن إلى أن العلماء خرجوا من المدينة مع جميع مؤلفاتهم، فانتشروا إلى مدن أخرى حين فتح المدينة، ومال البعض إلى أن جميع هذه المؤلفات جمعها المجاهدون وأخرقوها، لما فيها من الخروج عن التعاليم الإسلامية، أو لغرض سياسي، والرأي الثالث الأخير: أن العلماء أخذوا معهم بعض مؤلفاتهم وتركوا وراءهم البعض الآخر عند تلاميذهم الذين لم يخرجوا معهم.[٢٦]

ومهما يكن من أمر فإن علماء يندوتو قد خلفوا للمكتبة الإسلامية كتبا ورسائل لا يستهان بها من منثورات ومنظومات، ولا أدل على ذلك من أن الباحثين لا يزالون يعثرون على هذا التراث، بل وصل إلى الباحثين والدارسين عدد كبير من عناوين المؤلفات التي تنسب إلى هؤلاء العلماء، وأن الأستاذ محمد حبيب الحسن أورد في قائمته لمؤلفات علماء "يَنْدُوتُو" حوالي ثمانين مؤلفا من بين الكتب الكبيرة والصغيرة والأوراق.[٢٧] وعقد الباحثان الدكتور عبد القادر ثاني والدكتور أبوبكر أبوبكر ياغول فصلا خاصا لدراسة تحليلية لمختارات من تلك المؤلفات، واشتمل الفصل على دراسة تحليلية ممتعة لحوالي أربعة عشر كتابا من كتب علماء يندوتو، أمثال: كتاب الزهد والوصية للشيخ علي بن الحسن، وكتاب جواهر الحسان في تفسير القرآن، وتنبيه الأمة على اتخاذ الحرفة لمؤلفهما الشيخ محمد سمبو (طن أشفا) مؤسس مدينة غسو، وكتاب منظومة صرف العنان عن طريق النيران إلى طريق الجنان للشيخ العالم محمد مَودُ التودوي.[٢٨]

وبإمعان النظر فيما تقدم يتضح للقارئ جليا أن لعلماء"يَنْدُوتُو" مساهمة جبارة قيمة في نشر الثقافة العربية الإسلامية في هذه البلاد، بل إن مؤلفاتهم هي اللبنة الأولى لأساس التأليف والكتابة في هذه البلاد، خصوصا في اللغة العربية والتوحيد، فإنهم تأثروا غاية التأثير بهؤلاء العلماء الونغراويين الذين جاءوا إليهم من بلاد مالي بعد سقوط الدولة كما سبق أن قلناه.

ومن مساهماتهم في نشر العلوم الدينية واللغوية تأسيس المدارس والحلقات العلمية على أساس ترجمة معاني الكلمات العربية إلى لغة هوسا تسهيلا للفهم، ويروى أن علماء يندوتو وزملائهم الونغراويين هم

الذين علموا الناس في هذه البلاد الحروف الهجائية بأسلوب يتاسب اللغة المحلية، مثل: با – سين – ميم أرى – ألف – للّم – هاكري – من – ألفجا – ألف بق – ننأرى، وغير ذلك.[٢٩]

علماء يندوتو و الثورة الإصلاحية الفودية:

دخل الإسلام فى بلاد هَوْسَا مبكّرا كما أشرنا سابقا، وأما انتشاره انتشارا واسعا كبيرا فإنه لم يتمّ إلا في عهد بني فُودِي وبالتحديد في القرن التاسع عشر الميلادي. ولد الشيخ عثمان بن محمد فودي في أواخر صفر ١١٦٨هـ الموافق ديسمبر عام ١٧٥٤م. وينتمي إلى قبيلة فلانية تسمى (توروب) وهي من القبائل الفلانية التي هاجرت من فوت إلى أن وصلت تدريجيا بعد سنين إلى (غوبر) إحدى بلاد الهوسا حيث استقرت، وولد الشيخ عثمان هناك.[٣٠]

وأما عن حركته الإصلاحية فإنها بدأت منذ أن ناهز العشرين من سنه، فكان يدرس الناس ويعظهم ويرشدهم ويأمرهم بالمعروفف وينهاهم عن المنكر، ويدعو بترك العوائد المخالفة للشرع وبإحياء السنن وإخماد البدع، ولم يزل ذلك دأبه من قرية إلى أخرى للوعظ والإرشاد حتى اشتهر أمره وكثرت جماعته وأتباعه. وقد قسم نجله محمد بلو مدار ما يحدث الناس به في مجالس وعظه على خمسة أقسام:

- القسم الأول: في ذكر ما فرضته الشريعة.
- القسم الثاني: في الحث على اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.
- القسم الثالث: في رد الأوهام التي توهمها الطلبة.
- القسم الرابع: في اخماد البدع الشيطانية، ورد العوائد المذمومة.
- القسم الخامس: في بث العلوم الشرعية، وتحرير المشكلات فيها، والإفادة بالغرائب النوادر في العلوم.[٣١]

والحق يقال إنه من الطبيعي أن يكره جل علماء يندوتو وأمثالهم هذه الثورة الإصلاحية التي يقودها الشيخ عثمان بن فودي حين ذلك، لا لشيئ إلا لأنها تدعو إلى هجران التقاليد الفاسدة والعوائد المذمومة، وتدعو إلى التدقيق وتحرير المشكلات في العلوم الشرعية، وهم لا يريدن ذلك. لاسيما يرون أنهم تقدموا الشيخ عثمان في العلم والدعوة والتعليم في هذه البلاد. فتمسكوا بعقيدتهم وفتاويهم الغريبة دون التفات إلى هذا المصلح الكبير في غرب إفريقيا وحركته الإصلاحية، كما وصفهم بذلك أحد المؤرين قائلا:

"وكان علماء يندوتو يتمسكون بعقيدة إسلامية قوية، ويكفرون كل من خرج عنها، وكانت فتاويهم الفقهية غريبة جدا، منها أن الصلاة ذات سبعة أمواج كأمواج البحر، وكل من لم يجاوزها في صلاته صلاته باطلة، كما يعتقدون أن الصلاة لها الأخ الكبير للإمام والصغير والصديق، ولا صلاة لكل من لم يعرفهم. ومن فتاويهم الغريبة أن المسلم إذا ذبح ذبيحة فسئل مثلا: بم ذبحت ذبيحتك؟ فأجاب قائلا:

"بالسكين" مثلا، فإن الذبيحة لا تأكل، وأما إن أجاب بأن قال مثلا: "لا مؤثر في المخلوقات سوى الله" فإنها تؤكل..."[٣٢]

وأما عن تمسكهم ببعض التقاليد الفاسدة والعوائد المخالفة للشريعة الإسلامية التي يحاربها الشيخ عثمان بن فودي وأعوانه في حركتهم الإصلاحية فيبدو جليا في قول المؤرخين عنهم: "ولكن علماء يندوتو مع ذلك اشتهروا بالطب، فكانوا يستعملون الأدوية المزيجة بآي من القرآن الحكيم أو من القرآن المحض عن طريق الشرب أو التعليق أو غير ذلك، الأمر الذي أداهم إلى الإحتلاط بين أدويتهم الطبية الإسلامية وأدوية المجوس، وذلك مثل استعمال العظام واللحوم والدماء البشرية والحيوانية في أدويتهم بطريقة غير مقبولة في الإسلام، ولغرض مخالف للأوامر الدينية كقتل عدوهم أو عدو المستغيث بهم أو نقص أحد أعضائه، أو التفريق بين الحبيبين، وغير ذلك.[٣٣]

ومهما يكن من أمر فإن علماء يندوتو عارضوا الشيخ عثمان بن فودي في حركته الإصلاحية معارضة عنيفة أدت بهم إلى تعذيب وطرد من انتسب إلى جماعته من مدينتهم، كالحاج عمر والمظفر محمد بن الشفا، وقد لقي هذان الاثنين من علماء يندوتو جفاء وإذاية وضررا عظيما.

سقوط مدينة يندوتو:

استولى علماء الجهاد على مدينة يندوتو عام ١٨٠٧م، في عهد حاكمها (يندوتو عنتر). وبعد سقوط المدينة على يد أمير المؤمنين محمد بلُّو فإن أهلها قد فروا وانتشروا إلى مدن أخرى، فما بقي من المدينة إلا الدمن والآثار، ومازالت المدينة على هذه الحالة إلى الآن. ولكن المجاهدين الفلانيين أسسوا قرية أخرى جديدة بجوار تلك المدينة المندثرة على مسافة كيلو مترا، وتسمى"يَنْدُوتُن" دَاجِي، ويسمى حاكمها "مَرَافَا"وهي يَندُوتُو المعروفة الآن[٣٤] .

الخاتمة:

تناولت المقالة في السطور السابقة عرضا موجزا عن تاريخ مدينة "يَنْدُوتُو" القديمة قبل كيان الدولة العثمانية الفودية، لإبراز مكانتها العلمية بين بلاد هوسا القديمة. وختمت المقالة برصد اللإنتاجات التالية:

– أن مدينة "يَنْدُوتُو" من أقدم المدن في بلاد هوسا، بل تعتبر من المدن التي أعيد تعميرها بعد الطوفان.

– أن اسمها في القديم (جاندوتو) بالجيم ثم بدلت الجيم ياء فصارت "يَنْدُوتُو"، والكلمة عبارة هوسوية، تفيد نسبة أهل البلد إلى (دوتو) الذي هو ثقب عريض في الجبل بجوار مدينة ثافي.

– أن لإمام يحيى بن عبد الله الكامل من أوائل كبار العلماء الذين استوطنوا مدينة "يَنْدُوتُو"، فأصبحت المدينة مركزا علميا وثقايا تنتشر منه الثقافة العربية والحضارة الإسلامية إلى جميع بلاد هوسا في تلك الأيام.

– من أهم أسباب ازدهار مدينة "يَنْدُوتُو" علميا وثقافيا وتجاريا سقوط دولة مالي، فصارت ملتقى العلماء والأدباء والأولياء والتجار، من جميع مناطق غرب إفريقيا.

– ومع قلة التدوين وندرة الكتابة في تلك الفترة، فقد أسهم علماء يندوتو إسهاما لا بأس به حيث عثر الباحثون على عديد من إنتاجاتهم بلغ عددها ثمانين مؤلفا من بين الكتب الكبيرة والصغيرة.

وفي الختام نوصي الجامعة الفدرالية بِغُسَوْ الكافة وقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية خاصة بالقيام بمشروع علمي يسعى جاهدا لتحقيق وصيانة ما تبقى من آثار هؤلاء الجهابذة، للوفاء بحق الجوار.

قائمة الهوامش والمراجع:

[١] – العلامة الشيخ محمد الناصر المختار الناصر الكبري (ت ١٩٩٦م)، **العينان النضاختان باللؤلؤ والمرجان في موجز تاريخ (هوساوا) في القديم والحديث، وما لهم من الملوك والعلماء والأولياء، من القرن الأول إلى القرن الخامس عشر من هجرة ولد عدنان صلى الله عليه وسلم ما مضى الملوان**، بتخريج الفاتح قريب الله الناصر كبر، مكتبة الشيخ مالم كبر، كنو – نيجيريا، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص:٥٨

٢ – بابكر قدر ماري (الدكتور)، ***الدولة النيجيرية***، دار الأمة لوكالة المطبوعات كنو – نيجيريا، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص: ٩

٣ – آدم عبد الله الإلوري (الشيخ)، **الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني**، الطبعة الأولى، بلا تاريخ، ص:٣١

٤ – عبد القادر ثاني، **مالم محمد سمبو طن أشفا (مؤسس مدينة غسو) وإسهامه في نشر الثقافة العربية**، (مالم) مجلة الدراسات اللغوية، العدد السادس فبراير ٢٠٠٧م محرم ١٤٢٨هـ، ص: ٢٧٩

٥ – د. عبد القادر ثاني ود. أبوبكر أبوبكر ياغول، **مختارات من مؤلفات علماء يندوتو: دراسة وتحليل**، Millennium Printing Technology, Sokoto الطبعة الثالثة، ٢٠١٠م، ص:١١

٦ – المرجع نفسه، ص:٨

٧ – Habib Alhasan، **Suwanene Malaman Yandoto?** ورقة مقدمة في الندوة العلمية مركز الدراسات الإسلامية جامعة عثمان بن فودي صكتو – نيجيريا، ٢٠ – ٢٣ لشهر جون، ١٩٨٧م، ص:٣

٨ – Salisu Alhaji Sadi Tsafe، **Tsafe Garin Yandoto** Fisbas Media Service, Kaduna ١٩٩٨م، ص:١٤٩

٩ – قريب الله محمد الناصر المختار الكبري الأشعري المالكي الحسني القادري، (الخليفة)، **الرسالة الجلية لمكانة نيجيريا العلمية قبل كيان دولة (صوكوتو) العاصمة العلمية من القرن الثاني إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري**، بلا مطبعة ولا تاريخ، ص: ٢٤

١٠ – المرجع نفسه والصفحة.

١١ – نفس المرجع، ص: ٢٥

١٢ – حبيب الحسن، المرجع السابق، ص:٣

١٣ – قريب الله، المرجع السابق، ص: ١١

١٤ – محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي، **إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**، طبع على نفقة الحاج محمد طن إغي ظامير يرو صكتو، نيجيريا بدون تاريخ، ص:٣٧

١٥ – قريب الله، المرجع السابق، ص:٢٥

١٦ – د. عبد القادر ثاني و د. أبوبكر أبوبكر ياغول، المرجع السابق، ص:١٢

١٧ – حبيب الحسن، المرجع السابق، ص:٣

١٨ – محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي، المرجع السابق، ص:٤٤

١٩ – قريب الله، المرجع السابق، ص:١٣

٢٠ – د. علي أبوبكر، **الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠ إلى ١٩٦٠ عام الإستقلال**، دار الأمة لوكالة المطبوعات كنو نيجيريا، الطبعة الثانية بلا تاريخ، ص:٦٤ وما بعدها.

٢١ – المرجع نفسه، ص: ٦٩

٢٢ – د. عبد القادر ثاني و د. أبوبكر أبوبكر ياغول، المرجع السابق، ص:١٣ – ١٤

٢٣ – قريب الله، المرجع السابق، ص: ٦١ – ٦٢

٢٤ – محمد بلو بن الشيخ عثمان، المرجع السابق، ص:٣٧

٢٥ – د. عبد القادر ثاني و د. أبوبكر أبوبكر ياغول، المرجع السابق، ص: ١٤

٢٦ – المرجع نفسه، ص:٢٧

٢٧ – حبيب الحسن، المرجع السابق، ص:٨–٩

٢٨ – د. عبد القادر ثاني و د. أبوبكر أبوبكر ياغول، المرجع السابق، ص:٣٥–٦٨

٢٩ – المرجع نفسه، ص:٢١

٣٠ – د. شيخوأحمد سعيد غلادنثي، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، من سنة ١٨٠٤ إلى ١٩٦٦م**، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٣م، ص: ٥١

٣١ – راجع تفصيل ذلك في **إنفاق الميسور**، ص:٦٨–٧٢

٣٢ – عبد القادر ثاني، المرجع السابق، ص: ٢٧٦–٢٧٧

٣٣ – المرجع نفسه، ص:٢٧٧

٣٤ – د. عبد القادر ثاني و د. أبوبكر أبوبكر ياغول، المرجع السابق، ص:١٢ –١٣